خروجُ الكلامِ عن مُقْتَضَى الظَّاهرِ نماذجُ من التفسيرِ القرآنيّ

د. مصطفى الضايع

(الإيداع: 16 آب 2020 ، القبول: 20 تشرين الأول 2020)

ملخص:

تتناول هذه الدراسة ظاهرة من ظواهر البلاغة، وهي ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر؛ لداعٍ من الدواعي البلاغية ذات التأثير في النفوس والفِكَرِ، وتحاول تثمين جهود علماء التفسير البلاغي في اكتشاف مواطنها في النظم القرآني الكريم، فالآيات حين تخرج عن مقتضى الظاهر تحمل تأويلاً وتوجيهاً غير ما تدلّ عليه في ظاهر الكلام، الأمر الذي يثير انتباه القارئ ويدفعه للغوص إلى ما وراء السياق الظاهري، من أجل معرفة المعنى المراد الذي تسعى الآيات لتحقيقه.

وقد تنوعت صور خروج الكلام عن مقتضى الظّاهر؛ ومنها: خروجُ الخبر على خلاف مستوى الظّاهر، ووضعُ المُضْمَرِ مَوضِعَ المُظْهَرِ وعكسه، والتنويع في صيغ الأفعال بين الماضي والمضارع والأمر، وأسلوب الالتفات، وأسلوب الحكيم وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الالتفات، مقتضى الظاهر، أسلوب الحكيم، مقتضى الظاهر

* **باحث دكتوراه – قسم لغة العربية – كلية الآداب والعلوم الآنسانية.**

Speech out of what is apparent is examples of Quranic interpretation

Prof: Mustafa Aldaeaa

(Received: 16 August 2020, Accepted: 20 October 2020)

Abstract:

This is a phenomenon that take the speech away from the purpose of the phenomena. To the cause of eloquence causes which impresses in thoughts and senses . And try to put the light on the scientists of eloquence explanation to discover the origins of koranic systematize when verses exit from the appearance issue . It carries interpretation and guidance that not refer to during the speech . The issue that dhws attention to the reader and push him to the entrance of the appearance context . To know the exactly meaning that the verses want

The pictures of the speech exit varies from the appearance purpose . To which the exit of acquaint in opposition to apparent . And put the tacit in the position of transfiguration and the opposite is correct . And the many kinds of the verbs among past , present and the future . And the style of heed , sage technique etc.

Key Words: heed, the appearance purpose, sage technique, appearance purpose .

*PhD Researcher – Department of Arabic Language-Faculty of Arts and Humanities.

– المقدمة

الأصلُ في بلاغة الكلام أنْ يردَ على مقتضى الظاهر مراعاة لمقتضى الحال، ومعنى ورود الكلام على هذه الصورة "أنْ يكونَ مطابقاً للحالة التي يتحدث عنها، ومناسباً للموقف الذي يحدث فيه، وقد اهتمَّ العرب بذلك منذ القديم وتحدَّثَ عنه النحاةُ والبلاغيون، وقالوا: إنَّ لكلِّ مقامٍ مقالاً"[1]، ودعا الجاحظ (255هـ) إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وكرر ذلك في كتبه [2]، كما نقل قول العرب: "ومِنْ عِلْمِ حق المعنى أنْ يكونَ الاسمُ له طبقاً، وتلك الحالُ له وفقاً، ومدارُ الأمر على إفهام كلِّ قوم بمقدار طاقتهم، والحملِ على أقدار منازلهم"[3]. **وربطَ البلاغيون حُسْنَ الكلامِ وقبحَه بمدى مطابقته لمقتضى الحال**، فها هو السَّكَّاكي (626هـ) يقول: "وارتفاعُ شأن الكلام في باب الحسن والقبول، وانحطاطُه في ذلك، بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي يُسمَّى مقتضى الحال"[4]، كما عرّف البلاغيون بلاغة الكلام بأنَّها: "مطابقةُ الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"[5].

هذا هو الأصل الذي جرت عليه البلاغة، لكن هناك مسلكٌ آخرُ يخالفُ ظاهرَ الحال، وقد لاحظه البلاغيون أيضاً، **وهو مسلكٌ يعني أنْ تحملَ الألفاظُ والعباراتُ تأويلاً جديداً غير ما تدلّ عليه في ظاهرها، وهو تأويلٌ يرتبطُ بسياق الكلام**؛ لذلك نهض علماء البلاغة، وتتبعوا "ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في الكلام البليغ، لداعٍ من الدواعي البلاغية ذات التأثير في النفوس والأفكار، لما فيها من عناصر فنية إبداعية تتضمن دلالات فكرية، أو تعبيرات جمالية، أو إلماحات ذكية"[6]، والكلام عندما يخرج عن سمتِهِ المعتاد ورتابتِهِ المعهودة؛ فإنّ ذلك يثير انتباه القارئ، ويدفعه للوقوف وقفة تأمُّلٍ وتدبُّرٍ أمامَ هذا الأسلوب، ولا شكّ أنّ هذا الخروجَ في الأسلوب يرمي إلى تحقيق معنىً مراد، لا يمكن أنْ يحصلَ من دونَ ذِكْرِ هذا اللفظ الوارد على النَّسَقِ غيرِ المعتاد، لذلك "ينبغي أنْ تعلمَ أنَّ هذه المخالفة إنما هي لظاهر الحال، فالكلام وإن خالف ما يقتضيه الظاهر فإنّه قد وافق ما يقتضيه المعنى ويتطلبه، ولا يظهر ذلك إلا لمن سبرَ أغوار المعاني، وتغلغلَ بفكره في أعماق التراكيب، فهو الذي يتجلى له ما وراء مخالفة الظاهر من أسرار ومزايا، وأهداف يقصد إلى تحقيقها"7. **إذن؛** لكلِّ حالٍ طريقةٌ في التعبير عنها؛ فقد يستخدمُ المرسلُ أسلوباً عادياً مباشراً، وقد يخرجُ عن هذا الأسلوب وفقَ مقتضى الحال، ويتأثرُ الأسلوبُ بذلك؛ فيخرجُ الكلام على خلاف مقتضى الظاهر مراعاة لمقتضى الحال. **وقد لاحظ علماء التفسير البلاغي** أنّ الله قدّم بين يدي الآيات القرآنية إشاراتٍ وقرائنَ توحي بأنّ المخاطَب قد تحصَّلَ له بمعونتها حالٌ خفيةٌ غيرُ الحالِ الظّاهرةِ المُسْتَدَلِّ عليها بظاهر الكلام، فبنَى اللهُ نَظْمَ آياتِه على هذه الحال، تعويلاً على تلك الإشارات والقرائن، وأخرجَ الآياتِ على صورةٍ مخالفةٍ للكلام الظاهر، وموافِقةٍ لدلالة الكلام غير الظاهر.

---

[1] – معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1987م، 3/ 296 – 297.

[2] – **نقل الجاحظ ما جاء في صحيفة بشر بن المعتمر** "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاماً، ولكلّ حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"، البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة المدني، ط7، 1418هـ – 1998م، 1/ 138 – 139.

[3] – البيان والتبيين، الجاحظ، 1/ 92 – 93.

[4] – مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ضبط: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1987م، ص 168–169.

[5] – الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424 هـ – 2003م، ص20.

[6] – البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دمشق، دار القلم، ط1، 1996م، 1 /478.

7 – من بلاغة النظم القرآني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، 1992م، ص152.

وتقديمُ الآيات بهذه الطريقة يدلُّ على عَظَمَةِ النَّظْمِ القرآني الكريم وإعجازه البلاغي العظيم؛ لِمَا فيها من المغايرة في الأسلوب وطريقة الكلام، **ونحن في دراستنا هذه** سنحاول التركيز على بعض صور خروج الكلام عن مقتضى الظّاهر في آيات الذّكر الحكيم، مهتدين بآراء المفسرين وجهودهم في استنباط تلك الصور وبيان جمالياتها البلاغية؛ ومنها: خروجُ الخبر على خلاف مستوى الظّاهر، ووضعُ المُضْمَرِ مَوضِعَ المُظْهَرِ وخلافه، والتنويعُ بين صيغ الإفراد والتثنية والجمع، والتنويعُ في الأفعال بين الماضي والمضارع والأمر، وأسلوب الالتفات، والأسلوب الحكيم...1.

موضوع البحث

خروج الكلام عن مقتضى الظاهر – نماذج من التفسير القرآني

1- خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر: قسَّمَ البلاغيون الخبر ثلاثة أقسام بناءً على ما يشتمل عليه من مؤكّدات، فضلاً عن مراعاة حال المخاطَب، فإذا كان المخاطَب خالي الذهن من الحكم والتردد فيه استغنى المتكلم عن المؤكّدات، ويسمى الكلام حينئذٍ: **(كلاماً ابتدائياً)**، وإنْ كان متردداً في الحكم حَسُنَتْ تقويته بمؤكِّدٍ واحدٍ، ويسمى الكلام: **(كلاماً طلبياً)**، وإنْ كان مُنْكِراً للحكم وجبَ توكيده بحسب الإنكار، وفي هذه الحال يسمى الكلام: **(كلاماً إنكارياً)** 2، وفي مجيء الخبر على هذه الطريقة يعني أنه قد جرى على مقتضى الظاهر، يقول الميداني: "إذا أوردنا الخبر لخالي الذهن مجرداً من المؤكدات، وللمتردد الشاك مقروناً ببعض المؤكدات استحساناً، وللمنكر مقروناً بالمؤكدات بحسب درجة إنكاره وجوباً بلاغياً، كان إيرادنا الخبر جارياً على مقتضى الظاهر، وهذا يسمى: إخراج الكلام على مقتضى الظاهر"3.

لكنْ قد يقتضي المقامُ أنْ يفترضَ المتكلم حالاً في المخاطَب غيرَ حاله الحقيقية التي هو عليها، فيُنَزِّلَ خالي الذهن منزلةَ المتردّد أو المنكِر، ويُنَزِّلَ المنكر منزلة غير المنكر، وذلك لا يكون إلا لأسرارٍ يبتغيها المتكلم، ويعيها البصير بلطائف هذه اللغة ودقائقها، ولاشكَّ أنَّ هذا الأسلوبَ من الكلام أعلقُ في النفس والقلب، لِمَا فيه من السِّحْرِ والبيانِ والتأثيرِ، وهذا ما أشار إليه السَّكَّاكي بقوله: "وهذا النوع، أعني نَفْثَ الكلام لا على مقتضى الظّاهر، متى وقعَ عند النُّظَّار موقعه استهشَّ الأنفس، وأنَّقَ الأسماع، وهزَّ القرائحَ، ونشَّطَ الأذهانَ، ولأمرٍ ما تجد أربابَ البلاغة، وفرسانَ الطراد في ميدانها الرامية في حدائق البيان، يستكثرون من هذا الفنِّ في محاوراتهم"4. **ومن صور ورود الخبر على هذه الطريقة ما يأتي:**

أ- تنزيلُ غيرِ المُنْكِرِ منزلةَ المُنْكِرِ: قد يقتضي مقامُ الكلام تنزيلَ غير المُنْكِر منزلة المنكر "إذا ظهر عليه شيءٌ من أمارات الإنكار"5، كقول الشاعر حَجْل بن نَضْلَة: [من السّريع]

جَاءَ شَقِيقٌ عارضاً رُمْحَه إنّ بَني عَمِّكَ فيهِمْ رِمَاحْ 6

فقد جاءت جملة الخبر (إنّ بَنِي عَمِّكَ فيهم رِمَاحْ) مُصدَّرةً بإنّ؛ لأنّ فعلاً صدرَ مِنْ شقيقٍ جَعَلَ مَنْ ينظر إليه يظنُّ به ظناً؛ فالهيئة الظّاهرة مِنْ مجيء شقيق عارضاً رمحَه مُظْهِراً شجاعته كَفِعْلِ مَنْ لا يهتم لمَنْ يراه من الفرسان، دليلٌ على أنّه لا

---

1 – **وردت هذه الصور في:** معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، 2 / 473.

2 – الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص 28، و مفتاح العلوم، السَّكَّاكي، ص170 – 171، و مدخل إلى البلاغة العربية، د. يوسف أبو العدوس، عمان، دار المسيرة، ط1، 1427هـ-2007م، ص57 – 58.

3 – البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص182.

4 – مفتاح العلوم، السَّكَّاكي: ص174.

5 – الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص31.

6- البيت دليل على مجيء (إنّ) لتأكيد التهكم، ذلك أنّ من لطيف مواقعها أنْ يُدّعَى على المخاطب ظنٌّ لم يظنّه، ولكنْ يراد التهكم به، **وقائله:** حجل بن نَضلة، أحد بني عمرو بن عبد بن قتيبة بن معن بن أعصر **كما جاء في:** البيان والتبيين، الجاحظ، 340/3، **و** معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، عالم الكتب، 1367هـ-1947م، 72/1.

رمحَ فيهم، فَهُمْ عُزْلٌ لا سلاحَ معهم، وكأنّهم غير مقاتلين أو غير فرسان، والواضح من كلام الشاعر أنّ شقيقاً هذا لا ينكر أنّ في بني عمه رماحاً، لكنّ مجيئه على هذه الصُّورة أوحى بذلك؛ فعومل على ما ظهر منه من هيئة وليس على ما في نفسه، وقد أكد الخبر بـ (إنّ) والتقديم، وفي ذلك خروجٌ للجملة الخبرية على خلاف مقتضى الظّاهر، فخوطب المتلقي بما يخاطب به المُنْكِرُ، وإن كان في الظّاهر غيرَ مُنْكِرٍ.

ويمكن التمثيل لهذا المستوى من الكلام بقوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ {12} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ {13} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ {14} ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ {15}) [سورة المؤمنون: الآية 12-- 15] ففي هذه الآيات يُخبرُنا اللهُ سبحانه تعالى بمعجزة الخلق، والمراحل التي يقطعها المخلوقُ حتى يصير إنساناً سوياً، ليبينَ لنا عظمته وقدرتَه على الخلق والإنشاء، وهي آيةٌ من آياته سبحانه وتعالى، وصورةٌ من الصور التي يحتاج الإنسان إلى تأمُّلها من أجل أنْ يوقنَ بوجود الخالق، ثم تأتي الجملة الخبرية الاسمية في نهاية هذه الآيات مؤكَّدةً بـ (إنّ واللام): (إِنَّكُمْ بعدَ ذلكَ لَمَيِّتُونَ)، وقد خرجت عن مقتضى الظّاهر، فنُزّلَ المتلقي غير المنكر منزلةَ المنكر، لظهورِ شيءٍ من أمارات الإنكار عليه، ومن هذه الأمارات غفلته عن تلك الآيات الدّالة على وجود الخالق وقدرته، وهي آيات وردت في السياق السابق، والمتلقي لا ينكر الخبر؛ لكنّ تأكيدَ الخبر هنا جاءَ لتنبيه المتلقي، وليعلمَ أنهّ غافلٌ عن آيات الله لا يؤمنُ بها، فكأنَّه غيرُ مُدْرِكٍ بأنّ الموتَ واقعٌ عليه، وهذا المعنى أشار إليه جمهور أهل التفسير، ومنهم الإمام ابن عاشور (1393هـ) في قوله: "أكد هذا الخبر بـ(إنّ واللام)، مع كونهم لا يرتابون فيه؛ لأنهم لمّا أعرضوا عن التدبّر في ما بعد هذه الحياة كانوا بمنزلة مَنْ ينكرون أنّهم يموتون"[1]. فمضمون الخبر يحتاج في إدراكه والاقتناع به إلى شيء من التأمُّل والتدبُّر، والمخاطَبون لا ينكرون مضمون هذا الخبر، ولو قال تعالى: (ثم أنتم ميّتون) لما تحقق المعنى البلاغي المراد؛ لكنَّهم لمّا ظهرَتْ عليهم أمارات الإنكار؛ ومنها غفلتهم عن آيات الله وتصرفهم وكأنَّهم مخلَّدون؛ لذلك نُـزِّلوا منزلةَ المنكرين، وخرجَت تلك الجملة الخبرية عن مقتضى الظّاهر بناءً على ما ظَهَرَ عليهم من علاماتٍ وقرائن.

ب- تنزيلُ غيرِ السَّائل منزلةَ السَّائل: قد يُنَزَّلُ غيرُ السائل منزلةَ السائل "إذا قدّم إليه ما يُلَوِّحُ له بحكم الخبر؛ فيستشرفُ له استشراف المتردّد الطالب"[2]، **ويمكنُ التمثيل لهذا المستوى من الكلام بما جاء في قوله تعالى مخاطباً نوحاً υ:** (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ) [سورة هود: الآية 37] فقوله تعالى: (إنّهم مُغْرَقُون) جملة خبرية طلبية تشتملُ على مُسنَد إليه ومُسنَد، وهي مؤكَّدةٌ بمؤكّدٍ واحدٍ (إنّ) لتؤكّد خبرَ إهلاك الله لهم، ولكنْ ما سببُ التوكيد في هذا المقام؟ لعل السببَ يعود إلى أنّ الله سبحانه وتعالى لمَّا نَهَى نوحاً υ عن مخاطبته في شأن مخالفيه، دفعَه ذلك إلى معرفة ما سيصيبهم، فنُـزِّلَ لذلك منزلةَ السّائل المُتَرَدِّدِ، أَحْكِمَ عليهم بالإغراق أم لا؟ ثم أُجيبَ عن ذلك بقوله تعالى: (إنَّهم مُغْرَقُون) أي: محكوم عليهم بالإغراق، وهذه ما أشار إليه الإمام ابن عاشور في تفسيره بقوله: "جملة (إنّهم مُغْرَقُون) إخبارٌ بما سيقع وبيانٌ لسبب الأمر بصنع الفلك، وتأكيدُ الخبر بحرف التوكيد في هذه الآية مثالٌ لتخريج الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر، بتنزيل غير السائل المتردد منزلة السائل، إذا قدم إليه من الكلام ما يلوّح إلى جنس الخبر؛ فيستشرفه لتعيينه استشرافاً يشبه استشراف السائل عن عين الخبر"[3].

---

1 – التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م، 18 / 26.

2 – الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص29.

3 – التحرير والتنوير، ابن عاشور، 12 / 67.

فالمخاطَبُ نوحٌ υ صار كالمتسائل: لِمَ أُنهَى عن مخاطبته تعالى في شأن الذين ظلموا؟ هذا الموقف جعل المخاطَب الخالي الذهن (نوحاً) كالمتردّد الشاكّ، فحَسُنَ من أجل ذلك أنْ تخرج الجملة الخبرية في هذا السياق على خلاف مقتضى الظّاهر وهو المراد؛ لذلك ساقَ اللهُ الخبرَ إلى المخاطَب طلبياً مؤكّداً كما يُساقُ إلى الشاكّ المتردّد، حتى لا تنازعَ نوحاً نفسُه في قومه، لِمَا عسى أنْ تدخله أريحيَّة الرَّحم، وربّما كانت في نفس نوح فكرةٌ يعتقد من خلالها أنّه لن يجدَ تجاوباً من الله تعالى لخطابه، لأنّه دعا مسبقاً على قومه، بقوله: (ربِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً) [سورة نوح: الآية 26]، فجاءت الجملة خبريةً مُؤَكَّدة بـ(إنّ) لتؤكّد هذه الفكرة؛ فَهُمْ مُغرَقُون حَتْماً.

2- وضعُ المُظْهَرِ مَوضِعَ المُضْمَرِ وخلافه:

أ- وضعُ المُظْهَرِ مَوضِعَ المُضْمَرِ: وهذه صورةٌ أخرى من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر؛ إذْ يقوم هذا الأسلوب على وضع الاسم الظّاهر بدل الضمير لداعٍ بلاغيٍّ؛ وهو أسلوب يوضحه الإمام السَّكّاكي في قوله: "يوضَعُ المُظْهَرِ مَوضِعَ المُضْمَرِ إذا أريدَ تمكينُ نفسه زيادةَ تمكين، كقوله عزَّ قائلاً: (اللهُ الصَّمَدُ) [سورة الإخلاص: الآية 2] بعد قوله: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) [سورة الإخلاص: الآية1]، وتترك الحكاية إلى المظهر إذا تعلّق به غرضٌ: فِعْلَ الخلفاء حيث يقولون: (أميرُ المؤمنين يرسمُ لكَ) مكان: أنا أرسم، وهو إدخالُ الروعة في ضمير السامع، وتربيةُ المهابة أو تقويةُ داعي المأمور، وعليه قوله تعالى: (فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) [سورة آل عمران: الآية 159] أو: فِعْلَ المستعطِف حيث يقول: (أسيرُكَ يتضرَّعُ إليك) مكان: (أنا أتضرع إليك)، ليكون أدخلَ في الاستعطاف"1.

وفي هذا الاستخدام خصائص وسمات بلاغية ليست موجودة في الاستخدام المباشر للكلام، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: (فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) [سورة فصلت: الآية 27] فقوله تعالى: (الذين كفروا) "إظهار في مقام الإضمار لقصد ما في الموصول من الإيماء إلى علّة إذاقة العذاب، أي لكفرهم المحكي بعضه في ما تقدم"2.

ومن ذلك ورود اسم الجلالة (الله) ظاهراً بدل الضمير على سبيل التعظيم في قوله تعالى: (قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ) [سورة هود: الآية 73] فقد قال: (رحمة الله) ولم يقل: رحمته، لتشريف الرحمة وتعظيمها بإضافتها إلى اسم الله الأعظم، وهذا المعنى أشار إليه الإمام الألوسي (127هـ) بقوله: "(رحمة الله) المستتبعة كل خير، ووضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها والإيماء إلى عظمتها"3.

ونقيض التعظيم والتفخيم نجد الاحتقار والتوبيخ، وينطبق هذا على وضع المُظْهَر موضعَ المُضمَر في قوله تعالى: (ونَصَحْتُ لَكُم فكيفَ آسَى على قومٍ كافرين) [سورة الأعراف: الآية 93] إذْ أفاد الإمام الطيبي (743هـ) في حاشيته على الكشاف للزمخشري (538هـ) أنّ قوله تعالى: (على قومٍ كافرين) "إقامةٌ للظاهر موضع المضمر للإشعار بعدم استحقاقهم التأسف عليهم لكفرهم"4.

---

1 – مفتاح العلوم، السَّكّاكي، ص198، الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص67، والمطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 2013م، ص285.

2 – التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 24 / 279، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، 24 / 119.

3 – روح المعاني، الألوسي، 12 / 100 – 101.

4 – فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، شرف الدين الطيبي، مقدمة التحقيق: إياد أحمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434هـ – 2013م، 6 / 482.

فالأصل هنا أنْ يقولَ: (فكيف آسى عليكم)، ولكنّه عدل عن ذلك، وخالف مقتضى الظاهر: فقال: (على قومٍ كافرين)، ووضع المظهر (قومٍ كافرين) موضع المضمر (خطاب الجماعة)؛ للإشارة إلى كفرهم، ولتحقيرهم والإشعار بعدم استحقاقهم التأسُّف عليهم لكفرهم، وهو أبلغ وأجمل من قوله: (فكيف آسى عليكم).

ب- وضعُ المُضْمَرِ مَوضِعَ المُظْهَرِ: هذه صورةٌ من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر، إذْ "يُوضَعُ المُضْمَرُ مَوضِعَ المظْهَرِ، كقولهم ابتداءً من غيرِ جَرْيِ ذكرٍ لفظاً أو قرينة حالٍ: (نِعْمَ رجلاً زيدٌ وبِئْسَ رجلاً عمروٌ) مكان: (نِعْمَ الرجلُ وبِئْسَ الرجلُ) على قول مَنْ لا يرى الأصل: (زيدٌ نِعْمَ رجلاً وعمروٌ بئس رجلاً)، وقولهم: هو زيد عالم، وهو عمرو شجاع، مكان: الشأنُ زيدٌ عالمٌ، والقصةُ عمروٌ شجاعٌ؛ ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه؛ فإنّ السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظراً لعقبى الكلام كيف تكون، فيتمكن المسموعُ بعدَه في ذهنه فَضْلَ تمكنٍ، وهو السرُّ في التزام تقديم ضمير الشأن أو القصة، قال الله تعالى: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) [الإخلاص: الآية 1]، وقال: (إنّه لا يُفْلِحُ الكافرون) [المؤمنون: الآية 117]، وقال: (فإنَّها لا تعمَى الأبصارُ) [سورة الحج: الآية 46]"[1].

فالأصل إذنْ ألا يُذْكَرَ الضميرُ إلا مسبوقاً بما يدلُّ عليه، لكنْ لنكاتٍ بلاغيةٍ يُخالَفُ الأصلُ أحياناً؛ فيُوضَعُ المُضْمَرُ مَوضِعَ المظْهَرِ ابتداءً؛ فتستشرف النفسُ لمعرفة حقيقة الضمير وما يعود إليه، ثم يُلحَقُ بما يبيِّنه إذا احتيج إلى ذلك، فإذا عرفته النفسُ تمكَّنَ المعنى في القلب ووقع منه موقع القبول؛ لأنّ "الضميرَ حين يطرقُ النفسَ من غير أن يكون له عائدٌ يعودُ عليه فيصيّرها إلى حالةٍ من الغموضِ والإبهامِ لا قرارَ لها معها؛ فتستشرفُ إلى اكتشافِ الحقيقة المتوارية وراءَ الغموض المثير، فإذا جاءت الجملةُ المفسّرةُ تمكَّنَ معناها، ووقعَ في القلب موقعَ القبول"[2]، وأكثرُ ما يرد هذا النوع من الكلام في المواضع التي تدلُّ على التفخيم والتعظيم، وأنّ ما يلي الضميرَ أمرٌ مبهمٌ ينبغي التنبيه إليه، وفي هذا المعنى يقول العلوي (705هـ): "اعلمْ أنَّ ضميرَ الشأن والقصة على اختلاف أحواله، إنَّما يرد على جهة المبالغة في تعظيمِ تلك القصة وتفخيمِ شأنها، وتحصيل البلاغة فيه من جهة إضماره أولاً، وتفسيره ثانياً؛ لأنَّ الشيء إذا كان مبهماً فالنفوسُ متطلعةٌ إلى فهمه، ولها تشوُّقٌ إليه"[3]، ويلاحظ هذا الأسلوب في موضعين اثنين: "ضمير الشأن أو القصة، الضمير في باب (نِعْمَ وبِئْسَ وما جرى مجراهما)"[4].

ومن أمثلة وضع المُضْمَر موضع المُظْهَر ما جاء في قوله تعالى: (إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) [سورة الطارق: الآية 8]؛ فقد تقدم الضمير في (إنّه)، وأرجعه الإمام الرازي (604هـ) إلى الله جلَّ وعلا لسببين، فقال: "الضمير في (إنّه) للخالق مع أنّه لم يتقدم ذكره، **والسبب فيه وجهان: <u>الأول</u>:** دلالة خُلِقَ عليه، والمعنى أنّ ذلك الذي خلق قادر على رجعه، **<u>الثاني</u>:** أنّه وإنْ لم يتقدم ذكره لفظاً، ولكنْ تقدَّمَ ما يدلُّ عليه سبحانه، وقد تقرر في بدائه العقول أنّ القادر على هذه التصرفات هو الله سبحانه وتعالى، فلمّا كان ذلك في غاية الظهور كان كالمذكور"[5].

فقد توصل الإمام الرازي إلى دلالة الضمير من خلال سياق الكلام؛ فلفظة (خُلِقَ) الواردة في الآية (6) (خُلِقَ مِن ماء دَافِقٍ) تدل على أنّ هناك خالقاً واحداً هو الله سبحانه وتعالى، إضافة إلى دلالة معنى الكلام عليه؛ مما يعني أنّ الضميرَ عائد إلى الله سبحانه وتعالى؛ فهو وحده القادر على رجعه.

---

1 – الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص66، ومفتاح العلوم، السَّكَّاكي، ص197 – 198.

2 – خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد أبو موسى، القاهرة، مكتبة وهبة، ط4، 1416هـ-1996م، ص241 – 242، وهذا المعنى أشار إليه السكَّاكي، مفتاح العلوم، السكاكي، ص 197 – 198.

3 – الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، مصر، مطبعة المقتطف، 1914م، 142/2.

4 – البلاغة العربية، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، 1/ 507 – 508.

5 – تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير، فخر الدين الرازي، بيروت، دار الفكر، ط1، 1981م، 31 / 131.

ولعلَّ من المواضع المشهورة التي يُوضَعُ فيها المُضْمَر موضع المُظْهَر، ما جاء في قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) [سورة الإخلاص: الآية 1]؛ فقد رأى أهل التفسير البلاغي أنّ الله بدأ بالضمير (هو) من دون أنْ يسبقَه ما يدلُّ عليه "لأنّه موضعُ تعظيمٍ، والجملةُ بعده خبره مُفَسّرة"1.

ويؤكد هذا المعنى قرينة سبب النزول التي تبيّن أنَّ سببَ البدء بالضمير هنا للتعظيم وتشويق النفس إلى معرفة ما بعد الضمير؛ لأنّ هؤلاء لمّا قالوا للرسول ρ: صِفْ لنا ربك، نزلت السورة جواباً عن سؤالهم، وابتُدِئَتْ بالضمير تنبيهاً على فخامة ما سيُذكر بعده وجلالته2، فتشوقت النفس لمعرفته، مما مكَّنَ المعنى في نفس المتلقي فضلَ تمكّنٍ، ومنحَ العبارة بلاغةً تفتحُ ذهنَ المتلقي وتثير انتباهه.

3- أسلوبُ الالتفات: الالتفاتُ صورةٌ من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر، وطريقةٌ تعينُ المرءَ على الإيحاء بكثيرٍ من اللطائف والأسرار، وله قدرةٌ على استجلاب النفوس واستمالة القلوب، وفيه عنايةٌ بحال المخاطَب، وقصدٌ إلى تحريك نشاطه في الاستماع، ودلالةٌ على أغراض المتكلم وتنقُّلِ نفسِه من حالٍ إلى حالٍ بحسب ما يعرض لها من مقامات، وهو أسلوب يعدّه ابن جني (392هـ) من باب "شجاعة العربية"3.

وقد اختلف البلاغيون في مسألة نسبة هذا الأسلوب إلى أيّ فنٍّ من فنون البلاغة، فعدّه بعضهم من علم المعاني، وأدخله آخرون في علم البيان، على حين جعله غيرهم من علم البديع 4، ولعلَّ أشهر تعاريفه وأوفاها قولهم: "هو انتقالُ الكلام من أسلوبٍ من التكلم والخطاب والغيبة إلى أسلوب آخر غير ما يترقبه المخاطَب؛ ليفيد تطريةً لنشاطه وإيقاظاً في إصغائه"5. **وعن جمالية هذا الأسلوب يقول السكاكي:** "والعرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقلَ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ، أدخلَ في القبول عند السامع، وأحسنَ تطريةً لنشاطه، وأملأَ باستدرار إصغائه، وهم أحرياءُ بذلك"6، وقريب من هذا ما ذكره الإمام الزّمخشري في تفسيره 7.

---

1 – الدرّ المصون في علوم الكتاب المصون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دمشق، دار القلم، د.ت.11/ 149، وتفسير أبي السعود المسمّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد العمادي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 9 / 212.

2 – التفسير الوسيط للقرآن العظيم، تأليف لجنة من العلماء، إشراف: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، القاهرة، مطبعة المصحف الشريف، ط3، 1413هـ-1992م، المجلد العشر/ ص2050، وحاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، محمد بن مصطفى القوجوي، ضبط: محمد عبد القادر شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية،ط1، 1419هـ- 1999م، 8/ 719 – 720، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، 11/ 149.

3 – **عدّه ابن جني من الحمل على المعنى ضمن باب شجاعة العربية،** الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، د. ت ، 2 / 360.

4 – **فقد صرح ابن الأثير (637هـ) بأنه:** (خلاصة علم البيان)، **وعدّه صاحب الطراز** (من علم المعاني)، **على حين تأرجح السكّاكي في الحكم عليه،** فتارة يعده من علم المعاني، وأخرى يضمه إلى علم البديع، **بينما نجد الإمام الطيبي** مستقراً في جَعْله من المُحَسِّنَاتِ البديعيَّةِ الرَّاجعةِ إلى المعنى، **ينظر على الترتيب:** المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، القاهرة، مصر، دار نهضة مصر، ط2، د.ت، 2 / 167، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، 2 / 131، ومفتاح العلوم، السكاكي، ص 199، وكذلك ص 429، وكتاب التبيان في البيان للإمام الطّيبي تحقيقاً ودراسةً، رسالة دكتوراه، قسم التحقيق، إعداد: عبد الستار زموط، إشراف: د. كامل الخولي، جامعة الأزهر، 1397هـ- 1977م، ص158 .

5 – المطول، سعد الدين التفتازاني، ص287، **وفي تفسير الكشاف كلام على فائدة الالتفات من غير تعريفه اصطلاحاً،** الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزّمخشري، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ-1998م، 1/118-119-120.

6 – مفتاح العلوم، السّكّاكي، ص199.

7 – الكشاف، الزّمخشري، 120/1.

وسنحاول في هذه الفقرة تلمُّسَ بعض مواضع الالتفات التي أشار إليها علماء التفسير البلاغي...

أ- الالتِفَاتُ مِنَ الغَيْبَةِ إلى الخِطَابِ: في هذا المستوى من الالتفات عنايةٌ بحال المخاطَب، وقصدٌ إلى تحريك نشاطه بالاستماع، وفيه دلالةٌ على أغراضِ المتكلّم وتنقُّلِ نفسه مِنْ حالٍ إلى حالٍ بحسب ما يَعْرِضُ لَهَا مِنْ مَقَامَاتٍ، **وله أمثلة كثيرة منها ما جاء في الانتقال من الغائب إلى المخاطَب على سبيل المبالغة في قوله تعالى:** (إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً {27} وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً {28} وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً {29} فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً) [سورة النبأ: الآيات 27-30] فقد الْتَفَتَ من الغَيْبَةِ إلى الخِطَابِ لأنّ الخِطابَ أشدُّ قسوةً في محاسبتهم وأكثرُ تقريعاً وإهانةً لهم، وبمجيء الآية على طريقة الالتفات شاهدٌ على أنّ غَضَبَ الله عليهم قد تبالغ إلى درجةٍ كبيرةٍ؛ فغيَّرَ في مستوى الكلام ودلالته من الغيبة إلى الخطاب، والإمام البيضاوي (691هـ) في تفسيره يفيد أنّ قوله: (فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُم إلا عَذَاباً) "مسببٌ عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات، ومجيئُه على طريقة الالتفات للمبالغة"1.

يُفْهَمُ من كلام القاضي البيضاوي أنّ جملة الخطاب (فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُم إلا عَذَاباً) خرجت عن مقتضى الظّاهر الذي كان ينبغي أنْ يجريَ الكلامُ عليه مُوَافَقَةً للسياق السابق، إذْ يفترض أنْ يقول: (فذاقوا فلن نزيدهم إلا عذاباً)، لكنّه عدل عنها إلى خلاف مقتضى الظّاهر فخاطبهم بقوله: (فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُم إلا عَذَاباً)، وقد جاءت جملة الخطاب في هذا السّياق مُسَبَّبَةً عن كُفْرِهِم بالحسابِ، وتكذيبِهم بآياتِ الله في السياق السابق (إنّهم كانُوا لا يَرْجُون حِسَاباً * وكَذّبُوا بآياتِنا كِذّاباً)، فكان الالتفاتُ إلى الخطاب دلالةً على المبالغة في استحقاقهم العذاب، وصِيغَ التعبير عن هذا المعنى بتركيبٍ دقيقٍ، إذ استخدمَ الفعلَ (ذُوقُوا) المنبِئ عن التشديد في الوعيد والتهديد، واستخدمَ أسلوبَ الحصر بالنّفي والاستثناء (فَلَنْ نَزِيدَكُم إلا عَذَاباً)، فابتُدِئ بحرف تأبيد النفي، وأردفَ الاستثناءَ المقتضي ثبوتَ نقيض حكم المستثنى منه للمستثنى؛ فصارَتْ دلالةُ الاستثناء على معنى: (سنزيدُكم عَذَاباً مُؤَبّداً)، وهذا أسلوبٌ طريفٌ يقومُ على تأكيد الشيء بضدّه، وليس فيه إعادةٌ للفظ؛ لأنّ زيادةَ العذاب تقتضي تأكيد العذاب الحاصل أولاً، كُلُّ هذه الأمور تؤكّد غضبَ الله عليهم وتقريعَه لهم، وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر (الغائب) مراعاة لمقتضى الحال، ومجيئه على صيغة (الخطاب) أقوى في الحساب وأشدُّ تنكيلاً بهم.

ب- الالْتِفَاتُ مِنَ الخِطَابِ إلى الغَائِبِ: وهو خلافُ الأسلوبِ السابقِ، **ومِنْ صوره ما جاء في حديث الإِفْكِ** عندما سَمِعَ المؤمنون به، وتقوّلَتْ ألسنةُ بعضِهم أقاويلَ غيرَ صحيحةٍ؛ لذلك عدل النّظْمُ الكريمُ عن أسلوب الخطاب لِمَنْ حضر ذلك الحدث إلى أسلوب الغائب بقصد التوبيخ والتقريع، وذلك في قوله تعالى: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) [سورة النور: الآية 12]، فأصلُ الكلام على مقتضى الظّاهر أنْ يقول: (لولا إذْ سَمِعْتُمُوه ظَنَنْتُم بأنْفُسِكُم خَيْراً وقُلْتُم)، ولكنّ النّظمَ القرآني عَدَلَ عن مقتضى الظاهر (الخطاب) إلى خلافه وهو (الغيبة)، وعن المضمر إلى المظهر، فقال: (ظَنَّ المؤمنونَ والمؤمناتُ بأنفسِهم خيراً وقَالُوا)، وفي مستويَي العدول السابِقَين فائدةٌ يبينها ابن عاشور في قوله: "العدولُ عن ضمير الخطاب في إسنادِ فعل الظنّ إلى المؤمنين التفاتٌ، فمقتضى الظاهر أنْ يُقالَ: ظننتم بأنفسكم خيراً، فعدلَ عن الخطاب للاهتمام بالتوبيخ؛ فإنَّ الالتفاتَ ضربٌ من الاهتمام بالخبر، ولِيُصَرَّحَ بلفظ الإيمان، دلالة على أنَّ الاشتراك في الإيمان يقتضي ألا يُصدِّقَ مؤمنٌ على أخيه وأخته في الدين، ولا مؤمنةٌ على أخيها وأختها في الدين قولَ عائب ولا طاعن"2.

---

1 – أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1418هـ – 1998م، 280/5.

2- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 18 / 174 – 175.

فقد وردت هذه الآية في سياق حديث الإفك، وتحقَّقَ الالتفاتُ في هذا السّياق بالعدول عن الخطاب (ظَنَنْتُم) إلى الغيبة (ظَنَّ)، والعدول عن المضمر في (ظَنَنْتُمْ) إلى المظهر (ظنّ المؤمنون والمؤمنات)، وأسند الفعل (ظَنَّ) إلى الاسم الظّاهر على سبيل الغيبة، لا إلى ضمير المخاطَبِين الملائم لظاهر سياق الكلام (ظَنَنْتُمْ)، وهو تنويع في أسلوب الخطاب يفيد تجسيدَ المبالغةِ في توبيخ هؤلاء المخاطَبِين، وإبعادِهم عن مقام الزُّلْفَى، كما صرّح بلفظ الإيمان للدلالة على أنّ الاشتراك في صفة الإيمان يتطلّبُ من المؤمن ألا يظنَّ بأخيه المؤمن إلا خيراً، وأنْ يبرّئَه من السُّوْءِ، وفي هذا توبيخٌ آخر على عدم إعمالهم عقولَهم في تكذيب خبر حديث الإفك الكاذب، وعلى سُكُوتِهم عليه وعدمِ إنكاره، ولو جاءَت الآية بدون التفاتٍ فقال: (لولا إذْ سَمِعْتُمُوه ظَنَنْتُم بأنْفُسِكُم خَيْراً وقُلْتُم) لَحَصَل التوبيخُ، لكنّ التوبيخَ يزدادُ مع سلوك مَسْلَكِ الالتفات الذي يشير إلى ضرورة الانتباه لِمَا يظنّه ويقوله هؤلاء المؤمنون والمؤمنات.

ج- الالْتِفَاتُ مِنَ الغَائِبِ إلى المُتَكَلِّمِ: ويظهر هذا المستوى من مستويات الالتفات في قوله تعالى: (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) [سورة النمل: الآية 60] فقد أفادَتْ النون في (أَنْبَتْنَا) نَقْلَ الكلام عن مستوى الغيبة إلى مستوى التَّكَلُّمِ، لتأكيدِ معنى اختصاصِ الإنباتِ به سبحانه وتعالى، فلو قال: (وأَنْزَلَ مِنَ السّماءِ ماءً فَأَنْبَتَ به حدائق..) لانصرفَ ضميرُ الغائب إلى الماء، لكنَّه التَفَتَ ونَسَبَ الفعل إلى ذاته سبحانه وتعالى فقال: (أَنْبَتْنَا) مما أفاد تأكيد ذلك الاختصاص به، تذكيراً بالمنْبِتِ الحقيقيّ وهو الله، وهذا ما ذكره الإمام البيضاوي في تفسيره فقال: "(وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السّماءِ ماءً فَأَنْبَتنا به حدائق ذاتَ بهجةٍ) عدل به من الغيبة إلى المتكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته، والتنبيه على أنّ إنبات الحدائق البهيّة المختلفة الأنواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره"1.

4- التنويع في صيغ الأفعال: يعدُّ التنويع في صيغ الأفعال بين الماضي والمضارع والأمر فنّاً من فنون الإبداع البياني البليغ؛ لأنَّ تتابعَ الجمل على صيغة واحدة قد يشعر المتلقي بالملل والنفور؛ لذلك كان لا بدَّ من تنويع الصيغ؛ لاستثارةِ انتباه المتلقي، ودفعِه إلى تأمُّلِ العبارة، واستخراجِ ما فيها من دقائق ولطائف وإشارات، **ولعلَّ في تحليل الإمام ابن عاشور توضيحاً للتنويع الحاصل بين الماضي والمضارع في قوله تعالى:** (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) [سورة فاطر: الآية 9] فقد نوّع النظم الكريم بين الماضي (أَرْسَلَ)، والمضارع (تُثِيرُ)، وكان مقتضى الظاهر أن يتابع على المضي فيقول: (فأثارت)، لكنّه عدل عنه إلى المضارع (تُثِيرُ)؛ لأنّه لمّا "كان القصد من الاستدلال هو وقوعُ الإحياء وتقرُّرُ وقوعه جيءَ بفعل المضي في قوله: (أَرْسَلَ)، وأمّا تغييره إلى المضارع في قوله: (فتثيرُ سحاباً)؛ فلحكاية الحال العجيبة التي تقع فيها إثارة الرياح السحابَ، وهي طريقة البلغاء في الفعل الذي فيه خصوصية بحال تستغرب وتهمُّ السامع...، لم يؤتَ بفعل الإرسال في هذه الآية بصيغة المضارع بخلاف قوله في سورة الروم (اللهُ الذي يُرسِلُ الرِّيَاحَ)؛ لأنّ القصد هنا استدلال بما هو واقع إظهاراً لإمكان نظيره، وأما آية سورة الروم فالمقصود منها الاستدلال على تجديد صنع الله ونعمه"2.

فقد عدَّ ابن عاشور التغيير إلى المضارع طريقة من طرائق البلغاء؛ لخصوصية إثارة الرياح بحيث يستغرب السامع، وينتبه لها، وكأنها حاضرة أمامه، والفعل المضارع يفيد حدوث الفعل في الوقت الحاضر، كأنه يجري مع تلاوة النص.

ومن أمثلة التنويع في صيغ الأفعال ما جاء في قوله تعالى: (قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ {53}إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) [سورة

1 – أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، القاضي البيضاوي، 164/4.

2 – التحرير والتنوير، ابن عاشور، 22 / 267 – 268.

هود: الآية 53 – 54] فقد كان مقتضى الظاهر أن يقول: (أشهدُ الله وأشهدُكم)، ولكنّه عدل عنه وخالف بين الصيغتين خروجاً بالكلام عن مقتضى الظاهر إلى خلافه؛ لأنّ "إشهادَ الله تعالى إشهادٌ على التحقيق، جيءَ به ليؤكد به ما ذكره من البراءة من شركهم ومن شركائهم بخلاف إشهاده إياهم على البراءة؛ فإنه ليس إشهاداً على التحقيق، إذْ لا يقول أحد لمن يعاديه: أشهدُك على أنني بريءٌ منك، إلا وهو يريد عدم المبالاة ببراءته، والاستهانة بعداوته؛ فلما اختلف الإشهاد في المعنى خولف بينهما في الصيغة فجيء بصيغة الأمر، وإنْ كان المرادُ بها الخبر؛ لأنّ الجملتين إذا اختلفتا خبراً وطلباً فلا بد أن يقدر الطلب بالخبر أو بالعكس"1.

فلما اختلف المعنى بين الإشهادين اختلفت الصيغة بينهما أيضاً؛ لأنّ إشهاد الله صحيح ثابت، وإشهادهم تهاون واستهزاء، وهذه المخالفة من الناحية المعنوية استوجبت المخالفة من الناحية اللفظية؛ بين المضارع والأمر، ولو أجرى الكلام على مقتضى الظاهر دون مخالفة الصيغ لما تضمّن من النكتة واللطيفة ما يتضمّنه الإجراء على خلاف مقتضى الظاهر.

5- أسلوب الحكيم: أسلوبُ الحكيم مصطلحٌ أطلقه السكّاكي(626هـ)2، وعرّفه القزويني (739هـ) فقال: "تلقّي المخاطَب بغير ما يترقّب بِحَمْلِ كلامِه على خلافِ مُرادِهِ، تنبيهاً على أنّه الأَوْلى بالقَصْدِ، أو لسائلٍ بغير ما يَتَطَلّبُ، بتنزيل سؤالِه منزلةَ غيرِه، تنبيهاً على أنّه الأَوْلَى بحالِهِ أو المهمُّ له"3.

وقد قسّمه البلاغيون قِسْمَين: "القسمُ الأَوّلُ: حَمْلُ كلامِ المتكلّمِ على غير ما يريد به، تنبيهاً على أنّه الأَوْلَى بالقصد، والقسمُ الثّاني: إجابةُ السّائل بغير ما يطلب في سؤاله، لتنبيهه على أنّه الأمر الأهمّ الذي ينبغي أنْ يسألَ عنه"4.

ولعلّ مما يُلاحَظُ أنّ هذا الأسلوب يَكْثُرُ في أساليب الحوار؛ كالحوار الذي جَرَى بين موسى عليه السلام وفرعون، إذْ أجابَه موسى بأجوبةٍ تدلّ على الحكمة وتناسب سياق الكلام، ويظهر هذا في قوله تعالى: (قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى {49} قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) [سورة طه: الآيتان 49–50] فلم يأتِ جوابُ موسى بـ (ربّ العَالَمِينَ)، بل جاء الجواب بِمَا يتّصف به ربّنا وهو قوله: (رَبُّنَا الّذي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلقَهُ ثُمّ هَدَى)، وقد نبّه الإمام الألوسي إلى بلاغة هذا الجواب فقال: "ولله درُّ هذا الجواب مَا أَخْصَرَهُ ومَا أَجْمَعَهُ، ومَا أَبْيَنَهُ لِمَنْ ألقَى الذّهْنَ ونَظَرَ بعينِ الإنْصافِ وكان طالباً للحَقّ، ومن هنا قيل: كان من الظاهر أنْ يقول عليه السلام: ربّنا ربّ العالمين، لكن سلك طريق الإرشاد والأسلوب الحكيم، وأشار إلى حدوث الموجودات بأسرها واحتياجها إليه سبحانه واختلاف مراتبها، وأنه تعالى هو القادر الحكيم الغني المنعم على الإطلاق"5.

فَحَقُّ الظاهر أنْ يقولَ في الجواب: (ربّ العَالَمِينَ)، ولكنّه عَدَلَ عنه إلى خلاف مقتضى الظاهر بقوله: (رَبُّنَا الَّذي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمّ هَدَى)، وفي بنية هذا الجواب بلاغةٌ تكمن في أمور عدّة؛ منها قوله: (ربنّا) إذْ أثبت ربوبية الله لكلّ الموجودات في حضرة فرعون، ثم استخدم الاسم الموصول (الذي) الذي يقتضي وصف المعرفة قبله بجملة معلومة الانتساب إليها، ولا بدّ أنْ يكونَ مضمون الجملة معلوماً لدى فرعون إلا أنّه كان يظهر الإنكار تكبُّراً وعِنَادَاً، ثم قوله: (كلّ شيءٍ) الذي قَصَدَ به الكُلّيّة التي تشمل جميع الموجودات بحيث ينتظم في سَلَكِها فرعون ومَنْ معه، ولعلّ نظرةً عامّةً في مقام هذا الردّ

---

1 – حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي، 4 / 659.

2– مفتاح العلوم، السكاكي، ص327، **بينما سمّاه الجرجانيّ: المغالطة**، دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ، تعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ط3، 1992م ص138، **وسمّاه ابن حجّة الحموي: القول بالموجب**، خزانة الأدب وغاية الأرب، أبو بكر بن علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي، تحقيق: د. كوكب دياب، بيروت، دار صادر، ط2، 2005م، 2 / 269.

3– الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص70.

4– البلاغة العربية، الميداني، 1/ 498— 502، والإيضاح، القزويني، ص70، ومفتاح العلوم، السكاكي، ص327.

5 – روح المعاني، الألوسي، 16 / 202.

يتبين لَنَا أنّ مقصد موسى أنْ يتأمّل فرعون ويأخذ العِبْرة، فإذا تأمّل علم أنّ الربّ هو الذي أفاض الوجود والنّعم على جميع الموجودات ولا أحد غيره، هذه الأمور كلّها جعلَتْ بنيةَ الجواب سبيلاً من سُبُلِ الإرشاد وأسلوباً من الأساليب الحكيمة في الردّ. **ومِنَ الأسلوب الحكيم إجابةُ السّائل بغير ما يطلبُ في سؤاله، لتنبيهه على أنّه الأمر الأهم الذي ينبغي أنْ يَسْأَلَ عنه،** كما جاء في قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {29} قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ) [سورة سبأ: الآيتان 29–30] فقد سَأَل هؤلاء القوم عن وقت إرساء السّاعة وأُجِيبُوا عن أحوالهم فيها (قُلْ لَكُمْ مِيعادُ يَومٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عنهُ ساعةً ولا تَسْتَقدِمُونَ)، فكانت هذه الجملة "مسوقةً مساقَ الجواب عن مقالتهم، ولذلك فصلت ولم تعطف، على طريقة حكاية المحاورات في القرآن، وهذا الجواب جرى مجرى الأسلوب الحكيم، أي الأهم للعقلاء أن تتوجّه هممهم إلى تحقق وقوع الوعد في الوقت الذي عيّنه الله له، وألا يؤخّره شيء ولا يقدّمه، وحسّن هذا الأسلوب أنّ سؤالهم إنما أرادوا به الكناية عن انتفاء وقوعه، وفي هذا الجواب تعريض بالتهديد؛ فكان مطابقاً للمقصود من الاستفهام، ولذلك زيد في الجواب كلمة (لَكُم)، إشارة إلى أنّ هذا الميعاد منصرف إليهم ابتداءً"1. فقد جاء قوله: (قُلْ لَكُمْ ميعادُ يَوْمٍ) في هذا السّياق جواباً عن مقالتهم، ولذلك فُصِلَتْ الجملةُ ولم تُعْطَفْ، وجرتْ على طريقة أسلوب الحكيم في الردّ على هؤلاء القوم المعاندين والمحاجّين للنبي ρ، إذْ لم يُجِبْهُمْ عن سؤالهم بتحديد ذلك اليوم، إنّما عَدَلَ إلى جوابٍ آخرَ لتنبيه هؤلاء السّائلين على أنّه الأمر الذي ينبغي التّركيز عليه، وبهذا الجواب لَفَتَ النّبي ρ انتباهَ القوم إلى ضرورة السّؤال عن أحوال أنفسهم ومصيرهم، وترك السؤال عن موعد ذلك اليوم لأنّه قائم لا محالةَ.

كما تضمّن الجوابُ تعريضاً بالتهديد مُطابِقاً لِمَا قصدوه بالسؤال من الإنكار والتّعنُّت؛ لذلك زِيْدَ في الجواب (لَكُم) إشارةً إلى تحقّق هذا الميعاد بهم أولاً، كما خولف مقتضى الظاهر في الجواب من الإتيان بضمير الوعد الواقع في كلامهم إلى الإتيان بالاسم الظاهر وهو (مِيعادُ يومٍ)؛ لِمَا في هذا الاسم النكرة من الإبهام الذي يوجّه نفوس هؤلاء القوم إلى كلّ وجهٍ مُحْتَمَلٍ من العذاب والتنكيل؛ فيظنُّوا أنّه يومُ البعث أو يومٌ آخر يَحِلُّ فيه العذابُ عليهم، فضلاً عن تنكير (يوم) وما يتضمّنه من تهويلٍ وتعظيمٍ لذلك اليوم الذي يُجَازَى فيه هؤلاء القوم المعانِدون، ولعلّ نظرةً عامةً في سياق هذا الجواب تفيد أنّ الآية جاءَتْ لحثِّ هؤلاء القوم على العمل لتلك الساعة بدلاً من الانشغال بالسّؤال عن تحديد وقتها، وهو ما أشار إليه ابن عاشور في تفسيره.

6- التغليب: وهو "إعطاءُ الشيءِ حكمَ غيره، وقيل: ترجيحُ أحدِ المغلوبين على الآخر، أو إطلاقُ لفظه عليهما؛ إجراءً للمختلفَيْن مجرى المتفقَيْن"2، ويكون التغليب في أمور كثيرة، منها: "تغليب المذكر على المؤنث، وتغليب الكثير على القليل، وتغليب المعنى على اللفظ، وتغليب المخاطب على الغائب، وتغليب أحد المتناسبَيْن أو المتشابهَيْن أو المتجاورَيْن على الآخر، وتغليب العقلاء على غيرهم، إلى غير ذلك من الأمور"3.

وأمثلة التغليب في النص القرآني كثيرة، منها ما جاء في قوله تعالى: (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) [سورة التحريم، الآية 12] فقد قال: (من القانتين) ولم يقل: (من القانتات)؛ لأنها كانت "من عداد المواظبين على الطاعة، والتذكير للتغليب، والإشعار بأنّ طاعتها لم تقصُر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم، أو من نسلهم؛ فتكون (من) ابتدائية"4، وأضاف الزمخشري أنّ "القنوت صفة تشمل مَنْ قَنَتَ

---

1 – التحرير والتنوير، ابن عاشور، 22/ 200.

2 – البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط3، 1404هـ – 1984م، 3 / 302.

3 – البلاغة العربية، عبد الرحمن الميداني، 1 / 510.

4 – أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، القاضي البيضاوي، 5 / 226.

من القبيْلَين، فغلّب ذكوره على إناثه، و(من) للتبعيض، ويجوز أنْ يكون لابتداء الغاية، على أنها ولدت من القانتين؛ لأنها من أعقاب هارون أخي موسى صلوات الله عليهما"[1].

فلمَّا صحَّ اشتراك المذكر والمؤنث في صفة القنوت جازَ تغليب أحدهما على الآخر، فاستعمل الصيغة المختصة بالمذكر مكان المؤنث جرياً على خلاف مقتضى الظاهر؛ لما ذكرته من الأسباب السابقة.

ومن أمثلة تغليب الأكثر على الأقل ما جاء في قوله تعالى: (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {73} إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ) [سورة ص، الآيتان 73 – 74] فقد استثنى إبليس –وهو من الجن مخلوق من نار– من الملائكة –وهم من نور–؛ استثناءً متصلاً، فشملته الملائكة وهو ليس منهم على سبيل التغليب، وهذا المعنى جاء به أهل التفسير منهم الإمام الألوسي في قوله: "قوله تعالى: (إِلَّا إِبْلِيسَ) استثناء متصل؛ لما أنه، وإن كان جنياً، معدود في زمرة الملائكة؛ موصوف بصفاتهم؛ لا يقوم ولا يقعد إلا معهم، فشملته الملائكة تغليباً، ثم استثني استثناء واحدٍ منهم، أو لأنّ من الملائكة جنساً يتوالدون وهو منهم"[2].

ومن باب التغليب تغليب الموجود على غير الموجود، كما جاء في قوله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) [سورة يوسف، الآية 102]؛ فقد وردت الألفاظ (أَجْمَعُواْ، أَمْرَهُمْ، هُمْ) وضمائرها "عائدة إلى كل من صدر منه ذلك في هذه القصة من الرجال والنساء على طريقة التغليب، يشمل إخوة يوسف –عليه السلام– والسيارةَ، وامرأةَ العزيز، ونسوتَها"[3].

– الخاتمة:

وفي الختام نستطيع القول: الأصلُ في البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الظاهر، لكنَّ البلاغة قد تقتضي أن يخرج الكلام عن سمته المعتاد ورتابته المعهودة مراعاة لسياق الكلام ومقامه؛ وفي ذلك بلاغةٌ ودقةٌ وجمالٌ في الأسلوب، ونحنُ في هذه الدراسة استخرجنا بعضِ صورِ خروجِ الكلامِ عن مقتضى الظاهر، ثم عمدنا إلى تحليلها تحليلاً بلاغياً للوقوف على أسرارها البلاغية، وبعد جولة في كتب التفسير البلاغي تبين لنا ما يلي:

1– يعدّ الخروج عن مقتضى الظاهر من أبرز الظواهر الأسلوبية في النظم القرآني، وأكثرها وروداً، الأمر الذي أثارَ انتباه علماء التفسير البلاغي إلى ما وراء السياق الظاهري إلى معاني المعاني، ودفَعَهم إلى تأمّل العبارة ومحاولة معرفة القصد منها.

2– تعددت قرائن خروج الكلام عن مقتضى الظاهر وإشاراته البلاغية، وكان من أبرزها قرينة السياق وقرينة المقام، وقد أسهمتا في الوصول إلى المعنى المراد، وبيان الوجه البلاغي فيه.

3– تنوعت صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، منها: خروجُ الخبر على خلاف مستوى الظّاهر، ووضعُ المُضْمَرِ مَوضِعَ المُظْهَرِ وعكسه، والتنويعُ بين صيغ الإفراد والتثنية والجمع، والتنويعُ في الأفعال بين الماضي والمضارع والأمر، وأسلوب الالتفات، والأسلوب الحكيم، كما تعددت مراميها البلاغية التي تجتمع لتحقيق التأثير في المتلقي وإقناعه.

---

1 – الكشاف، الزمخشري، 6 / 166، وقد نقل السمين الحلبي قول الزمخشري دون تعديل فيه، **ينظر:** الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 376/10.

2 – روح المعاني، الألوسي، 23 / 225، فقد أراد أن إبليس كان جنياً مفرداً مغموراً بين ألوف من الملائكة موصوفاً بصفاتهم، فغلبوا عليه لكثرتهم، **وهذا نوع من أنواع التغليب سمّاه الزركشي** "تغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس مغمور فيما بينهم، بأن يطلق اسم الجنس على الجميع"، **ينظر:** البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 3 / 310

3 – التحرير والتنوير، ابن عاشور، 13 / 61.

- المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، عن كتاب: التسهيل لقراءات التنزيل من الشاطبية والدرة، تأليف: محمد فهد خاروف، تقديم: كريّم راجح، دمشق، دار البيروتي، ط3، 1433هـ، 2012م.

2- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1418هـ - 1998م.

3- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني البيان البديع، الخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424 هـ - 2003م.

4- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دمشق، دار القلم، ط1، 1416هـ- 1996م.

5- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط3، 1404هـ - 1984م.

6- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة المدني، ط7، 1418هـ - 1998م.

7- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م.

8- تفسير أبي السعود المسمّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد العمادي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

9- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، بيروت، دار الفكر، ط1، 1401هـ - 1981م.

10- التفسير الوسيط للقرآن العظيم، تأليف لجنة من العلماء، إشراف: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، القاهرة، مطبعة المصحف الشريف، ط3، 1413هـ-1992م.

11- حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، محمد بن مصطفى القوجوي، ضبط: محمد عبد القادر شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية،ط1، 1419هـ- 1999م.

12- خزانة الأدب وغاية الأرب، أبو بكر بن علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي، تحقيق: د. كوكب دياب، بيروت، دار صادر، ط2، 1425هـ - 2005م.

13- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د. ت.

14- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد أبو موسى، القاهرة، مكتبة وهبة، ط4، 1416هـ- 1996م.

15- الدرّ المصون في علوم الكتاب المصون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دمشق، دار القلم، د.ت.

16- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ط3، 1413هـ-1992م.

17- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

18- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، مصر، مطبعة المقتطف، 1914م.

19- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434هـ - 2013م.

20- كتاب التبيان في البيان للإمام الطّيبي تحقيقاً ودراسةً، رسالة دكتوراه، قسم التحقيق، إعداد: عبد الستار زموط، إشراف: د. كامل الخولي، جامعة الأزهر، 1397هـ- 1977م.

21- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود الزّمخشري، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ-1998م.

22- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، القاهرة، مصر، دار نهضة مصر، ط2، د.ت.

23- مدخل إلى البلاغة العربية، د. يوسف أبو العدوس، عمان، دار المسيرة، ط1، 2007م.

24- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 1434هـ- 2013م.

25- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، عالم الكتب، 1367هـ-1947م.

26- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1407هـ-1987م.

27- مفتاح العلوم، محمد بن علي السكاكي، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1407 هـ – 1987 م.

28- من بلاغة النظم القرآني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، 1413هـ – 1992م.